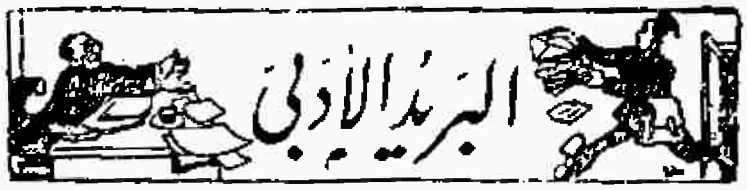

بين نيتشه وفاجنر :

كتب الأستاذ أنور المعداوي في عدد « الرسالة » رقم ٨١٩ في باب « التعقيبات » كلمة تحت عنوان « أدعياء الأدب في الصحافة اليومية » رد بها على الأستاذ الخميسي فيما كتبه بجريدة المصري عن موسيقي فاجنر وأثرها في الفيلسوف نيتشه خاصة والشعب الألماني عامة . فحمل حملة شعواء على الخميسي لا داعي لنقلها فقد طالعها القراء ... وإني أقول للأستاذ المعداوي كلمة هادئة ... ترفق يا صديقي فما هذه بلهجة ناصح مرشد ، وإنما هي لهجة مصارع جامح ... وحتى لو كان الحق في يدك والباطل في يد غيرك فلهجتك تشوه جمال حقك ... فما بالك إذا لم يكن معك كل الحق ، وليس مع غيرك كل الباطل ؟ !

إن ما قاله الأستاذ الخميسي من تأثر نيتشه بموسيقي فاجنر حق لا شك فيه ، وقوله (إن موسيقي فاجنر فتقت أكمام العبقرية في نيتشه) يدهشني بصدقه ودقته ؛ هذا التعبير الذي جعله الأستاذ المعداوي هدفاً لأسهم سخريته . وإليك الدليل يا أخي (الأستاذ) بقلم نيتشه نفسه من كتاب (رسائل الصداقة بين نيتشه وفاجنر) وهو سفر يقع في حوالي مائتي صفحة من القطع الكبير منه طبعة بدار الكتب بالقاهرة (Intimate betters—The Nietzsche — Wagner Correspondence) وهو حافل بآيات الإعجاب والإشادة التي طالما أهداها الفيلسوف إلى صديقه الموسيقار العظيم . ونحن نكتفي منه بمقتطفات من إحدى هذه الرسائل — على سبيل التمثيل لا الحصر — (صفحة ٨٥) كتبها الفيلسوف يهدي سمه نسخة من أول كتاب (تفتقت عنه عبقريته) إلى صديقه الموسيقار وقد سماه : « مولد التراجيديا من خلال روح الموسيقى » .

وهذا المؤلف بالذات تناوله البروفسور ليشتنبرجر في أبدع فصوله من مؤلفه القيم عن نيتشه — إنجيل السوبرمان —

ويفتتح نيتشه خطابه بهذه العبارة الشائعة في خطاباته لفاجنر :

أيها الأستاذ العظيم التبجيل :

لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل رداً لجميل عنايتك الفائقة التي أوليتنيها في حالته وإذا كنت أعتقد أنني به قد أصبت الحق فليس لذلك سوى معنى واحد هو أنك في فنك على حق مدى الزمن والخلود — في كل صفحة من صفحاته تجد شاهداً ناطقاً بشكري على كل ما أوليتنيه ؛ ولكن يعروني الجزع لشكي المخيف — إلى أي مدى استطعت أن أظهر نفسي أهلا لنفحاتك ؟ ! سأكون قادراً على إبداع أعمال أخرى أفضل في مقبل الأيام وأقصد بمقبل الأيام ذلك الزمن الذي يكون فيه فن بايروت (يقصد فن فاجنر) قد طار صيته .

وفي نفس الوقت أشعر بالزهو إذ أحس بنفسي كجمرة تضطرم ؛ لأنني من الآن فصاعداً سيقترن اسمي باسمك إلى الأبد .

مدينة بال في ٢ يناير ١٨٧٢ ف . نيتشه

ألا ترى يا أستاذ معداوي أن نيتشه يعترف صراحة بأثر فاجنر وفنه في أول كتاب تفتقت عنه عبقريته ؟ فكل صفحة من صفحاته شاهد ناطق بذلك كما يقول الفيلسوف نفسه !! وإن نجاح نيتشه في كتابه ليس إلا برهاناً على نجاح تأثير الموسيقار وفنه ؟ بل إن الفيلسوف ليوجهه الشعور بالزهو والفخر إذ شعر باقتران اسمه باسم الموسيقار العظيم إلى الأبد ! مسكين أيها الخميسي الدعي ! يا من تتناول مشكلات الأدب والفن هذا التناول الذي يبعث على الضحك والعجب والإشفاق !

إن [المثقفين يا أستاذ في كل مكان يعلمون حقاً أن موسيقي فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيته موسيقى فنان من قلم فيلسوف] ولكن هؤلاء المثقفين أنفسهم يعلمون أيضاً أن هذه الموسيقى بالذات قد لقيت من قلم نيتشه أسمى آيات المديح . إنها حقيقة ذات وجهين يعرفها كل مثقف في كل مكان ! فهل أظهرت يا أخي أحد الوجهين وأخفيت الآخر متعمداً لترضي لقلمك العنان في سخريته من الخميسي الدعي الذي يصدم الخيال والواقع ويخالف منطق الحياة والأحياء هو وأمثاله (على حد قولك) حين يكذبون ؟! أم أنك كنت بالوجه الثاني لتلك الحقيقة على غير علم ؟! إني أترك لك اختيار إحدى الحالين ... ولست أغبطك على هذا